موسوعة العثماني الإلكترونية

أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في اللغة العربية وآدابها

للدكتور
محمد حسن عبد اللطيف على
الأستاذ المساعد بالكلية

المقــدمة

الحمد لله الذى علم القرآن خلق الانسان علمه البيــان ، والصلاة والسلام على أفصح البشر سيدنا محمد ﷺ ورضى الله عن آل بيته وصحابته والتابعين ، فرسان البلاغة وأئمة البيــان .

وبعــد ، فبتوفيق بالله سبحانه وتعالى أقدم هذا البحث المتواضع عساه أن يكون سراجا مضيئا لأثر القرآن الكريم والسنة المطهرة فى اللغة العربية وآدابها ليوقن بذلك من لم يعرف، ويزداد يقينــا من قد عرف .

هذا وقد احتوى البحث على هذه المقدمة وأربعة فصول وخاتمــة .

تناولت فى الفصل الأول : تأثير الاســلام فى اللغــة العربية ، حيث كانت فى الجاهلية وعــرة وخشنة ، فرققهــا الاسلام ونماها بحيث اكتسبت الألفــاظ معانى لم تألفها من قبــل كالصلاة والصيام والزكاة والكفر والنفــاق والحج ، وبذلك اتسعت مذاهب بيانها وكثرت الأغراض التى يتسابق اليها فرسان الخطابة والكتابة ، وذكرت فضل اللغة العربية بشهادة غير المسلمين لها ووقفت على اعجاز القرآن الكريم الذى نزل بهــا .

وفى الفصل الثــانى : تناولت أثر القــرآن الكريم فى اللغة العربية وآدابهــا فأوضحت أثره فى توحيــد اللغة فى لهجة قريش التى نزل بها من لدن حكيم حميد . ومن أثره أنه

كان سببا فى علوم شتى مثل : النحو لدفع اللحن عنه ، والبلاغة لبيان اعجازه ، واللغة والأدب لتفسير غريبه ، والقراءات لضبط القراءة وحسن التلاوة ، وأنه استحدث ألفاظا لأمور غيبية مثل : الحاقة والواقعة والقارعة والآزفة والغاشية ـ أسماء ليوم القيامة ، وعليين : لأعلى الجنة وسجين لمنزلة فى النار ·

وجاءهم القرآن بأساليب متنوعة من المجاز والكناية والحكم والأمثال حتى بهرهم عجيب نظمه فخروا لبلاغته ساجدين ·

وفى الفصل الثالث : تناولت الحديث النبوى مبينا أنه فصل ما أجمله القرآن وأوضح ما أبهمه ، ووقفت على البلاغة النبوية حيث كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأروعهم بيانا ، لنشأته فى قريش واسترضاعه فى بنى سعد وهجرته الى بنى عمرو (الأوس والخزرج) وهذه أفصح قبائل العرب ·

وذكرت أن مصدر هذه الفصاحة الحقيقى من الله تعالى ، فقد ابتعثه صلى الله عليه وسلم الى العرب أولا وهم يقادون من ألسنتهم فلابد أن يكون أفصحهم ليبين لهم أحسن الحديث وهو القرآن الكريم ، فعلم المتعلمين وأدب المتأدبين وهو الأمى الذى لم يكتب خطا بيمين ، حتى قال له على كرم الله وجهه : من أدبك ؟ قال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ·

وفى الفصل الرابع والأخير : تحدثت عن أثر السنة المطهرة فى اللغة والأدب : فوقفت على منزلته اللغوية التى

لا تبارى ولا سيما جوامع كلمه ، فقد قال كلمات لم تسمع من قبـله مثـل :

(الآن حمى الوطيس) أى اشتدت نـار الحرب ، وقوله (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ووصـفه للمرأة الزانيـة (بالزمارة) لأنها تشيع أمرها فى الناس كمن ينفخ فى بوق ٠

ومن أثرها : مخاطبته صلى الله عليه وسلم وفود العرب بلسانها مثـل قوله لوفد حمير : (ليس من امبرامصيام فى امسفر) أى ليس من البر الصيام فى السفر ٠

ومن أثرها : اماتته ألفـاظا جاهلية مثل : عم صباحا وعم مساء وجعل مكانها : السلام عليكم ٠ وتغيير يثرب الى المدينة أو طيبة لأنها من التثريب وهو الهلاك ٠

ومن أثرها : الدراسات اللغـوية المختلفـة التى قامت لمعرفة الغريب والمجاز فى الحديث النبوى ، وكذلك كتـابة السيرة النبـوية وسـيرة الصحابة ، ومن آثارها أيضـا : اقتباس الصحابة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم مما ثرى اللغة العربية وآدابها ٠

أما الخاتمة ، فقـد وقفت فيها على أهم نتـائج البحث وذكرت ضرورة الاهتمام بالفصحى لنفهم القـرآن الـكريم والسنة النبوية وبذلك نفهم ديننا ، لأن اللغة العربية مفتاح لكنوز القرآن الكريم والسنة الشريفة ٠

هدانا الله جميعا الى سواء السبيل وتجاوز عن خطايانا وأخطائنا ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠

الدكتور

محمد حسن عبد اللطيف على

الأستاذ المساعد بالكلية

الفصــل الأول

تأثير الاسلام فى اللغــة العربية

أشرق الاسلام على العرب وفى هدايته من المعانى ما لم يكونوا يعلمون ، بل فى هدايته ما لا تستطيع اللغة يومئــذ الدلالة عليه ، فعبر عن هذه المعانى بألفاظ ازدادت بها اللغة نماء ، ومن الواضح أن القــرآن الكريم والحديث النبــوى الشريف قد سلكا فى البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ ، ثم ان فتــح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نقــل اليها من المعــانى العلمية أو المدنية ، ففضل الاسلام على اللغــة العربية يظهر فى غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها ، وكثرة الأغراض التى يتسابق اليها فرسان الخطابة والكتابة [1] ٠

فضل اللغة العربية :

واللغة العربية لغــة الاسلام وليست لغة قوم يتكلمون بها ، ولو كانت كذلك ما شرفت الشرف الذى حظيت به منذ فجر الاسلام والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠ ومن ثم فهى محفوظة بحفظ الكتاب العــزيز الذى نزل بها (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ٠

شهادات للغــة العربية :

أولا : من غير المسلمين :

يقول المستشرق « أرنست رينــان » فى كتــابه تــاريخ

---

(١) مجلة نور الاسلام ــ ١٣٥١ هـ / محاضرة للشيخ الخضر حسين ٠

اللغات السامية : من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل . تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها . هذه اللغة ظهرت لنا فى حال الكمال ، حتى انها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة - لا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى (٢) .

ثانيا : من المسلمين :

شهادة من عالم مستنير يعرفه القاصى والدانى هو الشيخ الامام « محمد عبده » مفتى الديار المصرية الأسبق ، اذ كان يرى اللغة العربية هى أساس الدين (٣) وأن حياة المسلمين بدون حياة لغتهم من المحال (٤) .

لذلك نلقى الضوء على اعجاز القرآن الكريم ، لأنه الدستور أو المنهاج الذى نزل بهذه اللغة تشريفا لها .

اعجاز القرآن الكريم :

انعقد الاجماع على أن القرآن الكريم معجز ، وانما الخلاف فى سبب اعجازه ، وقد حصرت فى أربعة أوجه :

أولها : فصاحته وبلاغته الخارقة التى أعجزت العرب - وكانوا أرباب الفصاحة وفرسان الكلام دون سواهم من الأمم - عن الاتيان بمثله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة

---

(٢) عن مجلة نور الاسلام ١٣٥١ .
(٣) تاريخ الإمام ج ٣ : ص ٢٥٩ .
(٤) المنار ج ٨ : ص ٤٩١ .

مثـله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)
(وان كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسورة من
مثـله) ٠٠٠٠ الى قوله تعالى متحديا لهم (فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القـرآن لا يأتون بمثـله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً) (قل فأتوا بعشر سور مثـله مفتريات) ٠

فلم يزل القـرآن يقـرعهم ويوبخهم وهم فى كل هـذا عاجزون عنمعارضته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم « ان هذا الا قول البشر » ان هذا الا سحر يؤثر ، وسـحر مستمر ، وافك افتراه ، وأساطير الأولين ، وقولهم مكابرين مع عجزهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وقد قال لهم الله (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا وسلبهم الله ما ألفـوه من فصـيح كـلامهم ، وان كـان بعض المشركين والمتنبئين قد حاول معارضة القرآن الكريم بكلام رث غث ، ذلك ما ورد عن « مسيلمة الكذاب » فى قوله :

« يا ضـفدع بنت ضـفدع ! نقى ما تنقين ، فـلا المـاء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين » (٥) فما حرك كلام مسيلمة فى العرب غير السخرية ، على حين خر بعضهم لبلاغته ساجدين، من ذلك ما ذكره « أبو عبيـد » أن أعرابيـا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد قائلا : سجدت لفصاحته ٠ وسمع آخر رجلا يقـرأ قوله ـ تعـالى ـ عن اخوة يوسف ـ عليه

---

(٥) تاريخ الأدب العربى لأحمـد حسن الزيات ص ٨٦ ط / الخامسة والعشرون ٠

السلام - : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام • يعنى أنه كلام الخالق - سبحانه وتعالى - • وحكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ؟ فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله - تعالى - :

(وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) • فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، فالأمران : أرضعيه ، وألقيه • والنهيان : لا تخافى ولا تحزنى • والخبران : أوحينا وخفت • والبشارتان : رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين وغير ذلك كثير وكثير •

ثانيا : صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا الى مثاله فى جنس كلامهم من نثر ونظم • ولما سمع « الوليد ابن المغيرة » القرآن من النبى - ﷺ - رق قلبه فجاءه « أبو جهل » منكراً عليه فقال الوليد لأبى جهل معنفا : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى ، والله ما يشبه الذى يقوله شيئا من ذلك •

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قوم قد علمتم أنى لم أترك شيئا ان لا وقد علمته وقرأته وقلته ، والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة •

ثالثها : ما اشتمل عليه من الاخبار بالمغيبات فوجدت
كما ورد على الوجه الذى أخبر به كقوله تعالى : (لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) فى وقت كان المسلمون
فيه ضعافا . وقوله تعالى (غلبت الروم فى أدنى الأرض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) ، وقوله تعالى:
(اذا جاء نصر الله والفتح) .

فكان جميع هذا كما قال القرآن : غلبت الروم فى بضع
سنين ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا فما انتقل صلى الله
عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وفى بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام ، واستخلف الله المؤمنين فى الأرض ، ومكن
لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وملكهم الأرض من أقصى
المشارق الى أقصى المغارب كما قال — صلى الله عليه وسلم —:
« زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
أمتى ما زوى لى منها » (٦) .

رابعها : ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم
البائدة ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألون النبى — ﷺ —
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا ،
كقصص الأنبياء مع أقوامهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف
واخوته ، وأصحاب الكهف ، وذى القرنين ، ولقمان وابنه ،
وأشباه ذلك من الأنبياء وبدء الخلق ، وما فى التوراة
والانجيل وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها

(٦) زويت : طويت .

ولم يقدروا على تكذيبه ، حتى اليهود والنصارى على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وكثرة سؤالهم له ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعنيتهم اياه عن أخبار أنبيائهم ـ لم ينكروا ذلك أو يكذبوه ، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كأهل نجران (٧) .

لغة القرآن الكريم :

شغل المسلمون بالقرآن ، فكان دعاءهم في المسجد ، ونظامهم في البيت ، ومنهاجهم في العمل ، ودستورهم في الحكومة ، فسرى هديه فيهم مسرى الروح في الجسد ، وأثر في ألسنتهم وقلوبهم فقوم هذى وثقاف ، ووحدهم من لغات شتى الى لغة واحدة هى لغة قريش التي هى الأصل في لغة القرآن ، لأن النبى ولد فيها وبعث منها ، لأن لغتها تفضل سائر اللغات لعذوبتها ورقتها ، وقبيلتها تشرف سائر القبائل بجوار البيت ، وسقاية الحاج وعمارة المسجد ، ولكنه نزل أيضا بلغة بنى سعد بن أبى بكر لأن الرسول ﷺ استرضع فيهم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، وأنى نشأت في بنى سعد بن بكر .

وجاء في القرآن بعض ألفاظ من لغات عربية أخرى كقوله تعالى (لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم

---

(٧) راجع ج ١ : ص ٢٥٨ ـ ٢٧٢ الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .

بلغة بنى عبس · ثم وقع فيه من غير لسان العرب أكثر من مائة كلمة ترجع الى لغات الفرس والروم والحبشة والعبران والسريان والقبط كالجبت والاستبرق والسندس والقسطاس والزنجبيل وقـد صقلها العرب على لسـانهم وأجروها على أوزانهم فصارت بذلك عربية [٨] ·

(٨) راجع تاريخ الأدب العربى احمد حسن الزيات ص ٨٩ بتصرف ·

الفصل الثانى

أثر القرآن الكريم فى اللغة والأدب

أثره فى اللغة :

١ ــ للقرآن الكريم الأثر الواضح فى توحيد اللغة ونشرها وترقيتها ، والتقريب بين لهجاتها اذ وحدها فى لهجة قريش ، وبذلك كتب لها السيادة على سائر لهجات العرب · كيف لا ؟ وقد نزل بها الكتاب العزيز الذى فرضت تلاوته على العرب وعلى كل من أشرق قلبه بنور الاسلام ، وبذلك حفظت اللغة العربية بحفظ القرآن الكريم : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) · وأصبحت لغة الدين والأدب والسياسة ، وقد أحدث فيها علوما جمة وفنونا شتى لولاه لم تخطر على قلب كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه ، والمعانى والبيان لتقرير الاعجاز فيه ، وعلمى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله ، والقراءات لضبط قراءته وحسن تلاوته · والتفسير والحديث والفقه والأصول لاستنباط أحكام الشرع الشريف منه [٩] .

وأصبح لزاما على كل مسلم أن يتعلم العربية ليعبد الله على علم ، ولقد برع فى علوم العربية من ليس من أهلها

---

(٩) راجع الوسيط فى الأدب العربى وتاريخ احمد الإسكندرى ص ٩٩ ط : المعارف ، تاريخ الأدب العربى احمد حسن الزيات ص ٩ ط : نهضة مصر بتصرف ·

وخير مثـال على ذلك : سيبويه امام النحاة صاحب الكتاب المعروف حتى اذا أطلق الكتاب بعد كتاب الله تعالى فهو على كتاب سيبويه . وكفاه بهـذا شرفا . هذا وما أنشىء النحو وسواه من العلوم اللسانية الا لتقويم الألسنة لتقرأ القرآن الكريم بلسان عربى مبين كما جاء من لدن حكيم خبير .

٢ ـ تخصيص الذات العليـة ببعض ما لا ينبغى الا له من الصفات والأسماء كلفظ (الرحمن) فقد كانوا يطلقونه على بعض سادتهم ، ومنـه تسميتهم « مسيلمة الـكذاب » برحمان اليمامة .

٣ ـ اطلاقه كثيرا من الأوصاف على أمور غيبية فجرى ذلك فيهـا مجرى الأسـماء : كالواقعـة والحاقة والآزفـة والقـارعة والصاخة والغاشـية والطامة الكبرى وكلها من أسماء القيامة . ومن ذلك أسماء الغسلين والسجين والعليين والتسنيم التى أتبعها بما يفسرها كقوله تعالى ((وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين)) (٨ ـ ١٠ المطففين) ((وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم . يشهده المقربون)) (١٩ ـ ٢١ المطففين) وقد يفسر بدون وما أدراك كقوله تعـالى : ((ومزاجه من تسنيم . عينـا يشرب بهـا المقربون)) (٢٧ ـ ٢٨ المطففين) ومن هنا أخذ المفسرون أن التسنيم علم على عين فى الجنة . وقد فسر الغسلين بأنه غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الدم والصديد .

٤ ـ التوسع فى دلالة الألفـاظ ، وذلك بايجاده معـانى لم تكن تعرفها العربية من قبل القرآن مثل : المؤمن ، والمسلم،

والكافر ، والنفاق ، والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والتيمم ، والحج ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، والوضوء ، وغير ذلك .

فالعرب عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة أوصافا وشرائط بها سمى المؤمن مؤمنا ، وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفته العرب بمعنى السلم والموادعة . ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء فى صفات المسلم . وبحسبى أن أقف قليلا أمام مفهوم كلمة الاسلام فى القرآن فى بعض آيات منه . قال تعالى :

(وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) وقال تعالى : (فقل أسلمت وجهى لله) (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون) (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) فالآيات واضحة الدلالة فى معنى الخضوع والانقياد . ومن ثم أطلقت كلمة الاسلام علما على ديننا الحنيف فى قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) هو دين السعادة للناس كافة . دين يكمل الديانات السماوية السابقة ، ويسيطر على ماجاءت به الرسل . قال - تعالى - : (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (١٠) .

وكانت العرب لا تعرف من الكفر الا الغطاء والستر ،

---

(١٠) راجع ج ١ : ص ١١ تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى شوقى ضيف ط : المعارف .

فجاء الاسلام فأطلق على من غطى قلبه وحجبت بصيرته عن نور الاسلام . والمنافق : كان عند العرب من نافقاء اليربوع (١١) ، اذا اتخذت نفقا لها تختبىء فيه بعيداً عن الناس . فلما جاء الاسلام جعله اسما قبيحا لقوم أبطنوا غير ما أظهروه . والفسق : لم يعرفوا فيه الا قولهم فسقت الرطبة : اذا خرجت من قشرها . وجاء الاسلام مبينا أن الفسق هو الافحاش من الخروج عن طاعة الله تعالى ، كما ورد كثيراً فى آيات القرآن الكريم : الصلاة كانت فى لغة العرب تطلق على الدعاء ، وفى الاسلام تطلق على أنها : أفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، وفيها قيام وركوع وسجود وتشهد ، ولها شروط معينة لا تصح الا بها ، كطهارة الجسد والثوب والمكان واستقبال القبلة وغير ذلك من بقية شروط الصلاة ، وأرى طهارة القلب قبل طهارة الجسد لمناجاة الله تعالى . والصوم عند العرب : الامساك (الامتناع عن الشىء) يقال : صمت عن الكلام : امتنعت عن الكلام . ثم زادت الشريعة الاسلامية النية وحظرت الأكل والشراب ومباشرة النساء فى وقت معلوم بشروط معلومة وضحها الفقهاء . والحج : لم يكن فيه عندهم غير القصد ، تقول : حججت الى مكان كذا : قصدت واتجهت الى هذا المكان . ثم زادت الشريعة مازادته منشرائط الحج وشعائره . والزكاة : لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء . يقال زكا المال أو الزرع : اذا نما وكثر . وزاد الشرع فيها ما زاده من

(١١) اسم دويبة .

شرائط ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه · فالصواب فى هذا اذا سئل الانسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوى وشرعى ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ماجاء الاسلام به· والتيمم: كان معناه القصد : يممت مكان كذا : قصدته ، ثم عرف فى الاسلام بأنه القصد الى الصعيد الطاهر لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها (١٢) · والجاهلية : اسم حدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل مبعث النبى عليه الصلاة والسلام ·

وكان الجهل لدى العرب يطلق على الحمق والطيش والسفه وما يستتبع ذلك من نزوع الى الشر ورغبة فى العدوان · يستبين لنا ذلك من قول الرسول ﷺ لأبى ذر حين عير رجلا بأمه : « انك امرؤ فيك جاهلية » أى شىء من أخلاق الجاهلية قبل الاسلام · وعلى هذا جاء قول شاعرهم « عمرو بن كلثوم » مفتخراً :

ألا لا يجهلن أحد علينا ∴ فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يبغى أحد علينا فنحن أولو قوة بحيث نزيد على اعتداء المعتدى علينا اعتداء فوق اعتداء ·

والمخضرم : اسم حدث فى الاسلام ، قيل لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية : مخضرم ، والمخضرمون من الشعراء : من قال الشعر فى الجاهلية ثم أدرك الاسلام ، فمنهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن معديكرب ، ومعن بن أوس ،

---

(١٢) فقه السنة للسيد سابق ج ١ : ص ٦٦ ط : دار التراث بمصر ·

والنابغة الجعدى . وتأويل المخضرم : من خضرمت الشئ : أى قطعته يقال خضرم فلان هديته : اذا قطعها ، وعلى ذلك سمى المخضرمون مخضرمين كأنهم قطعوا عن الكفر الى الاسلام .

والمحرم لم يكن شهر المحرم معروفا فى الجاهلية ، وانما كان يقال له ولشهر صفر : الصفرين ، وكان أول الصفرين من الأشهر الحرم ، فكانت العرب تارة تحرمه وتارة تقاتل فيه وتحرم صفر الآخر مكانه . فكانت العرب تسمى : صفر الأول وصفر الآخر وربيع الأول وربيع الآخر ، وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ، فلما جاء الاسلام وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسئ (التأخير) سماه النبى ﷺ شهر الله المحرم ، وجاء فى الصحاح (معجم الصحاح) أن « ابن دريد » العالم اللغوى صاحب معجم الجمهرة قال : الصفران شهران فى السنة سمى أحدهما فى الاسلام : المحرم [١٣] .

والجوائز : العطايا ، الواحدة جائزة ، قال « ابن دريد » ذكر بعض أهل اللغة أنها كلمة اسلامية ، وأصلها أن أميرا من أمراء الجيوش الاسلامية واجه العدو وبينه وبينهم نهر « ماء كثير لا يمكن السير فيه » فقال الأمير الاسلامى لجنوده : من جاز هذا النهر (من عبر هذا الماء) فله كذا وكذا ، فكان الرجل يعبر النهر فيأخذ مالا فيقال : أخذ فلان

---

(١٣) المزهر للسيوطى ج ١ : ص ١٧٥ وما بعدها نقلا عن ابن دريد فى الجمهرة .

جائزة فسميت جوائز بذلك [١٤] .

فذلك من أثر القرآن واستحداثه علوما فى اللغة وسواها على أيدى علماء جهابذة أبانوا لنا أثر الاسلام فى اللغة العربية . واستخرجوا لنا درها ونفائسها .

٥ ـ ابطال القرآن بعض الألفاظ لبطلان معانيها مثل : البحيرة ، السائبة ، الوصيلة ، الحامى ، وهى التى تضمنتها هذه الآية (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) الآية ١٠٣ المائدة .

فالبحيرة : ناقة تلد خمس مرات آخرها ذكر . تبحر أذنها : أى تشق ويحرم ركوبها ولا تطرد عن ماء أو مرعى . والسائبة : هى المسيبة لنذر صاحبها اذا قدم من سفر أو برىء من مرض أن يسيبها فهى حرام كالبحيرة . والوصيلة : الشاة التى تلد ذكراً وأنثى معا ، وقد كانوا يجعلون الذكر لآلهتهم والأنثى لهم فاذا فعلت ذلك قيل وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . والحامى : (الفحل الذكر من الابل) اذا نتجت الناقة من صلبه عشرة أبطن (لقح الناقة فولدت عشر مرات) فيقال : حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه ويعطى حكم السائبة والبحيرة .

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم :

حجراً محجوراً . وكان هذا عندهم لمعنيين أحدهما عند

---

(١٤) المزهر جـ ١ : ص ١٧٢ ـ ١٧٥ ط : صبيح .

الحرمان اذا سئل الانسان قال : حجراً محجوراً فيعلم السامع أنه يريد أن يحرمه ، والوجه الآخر : الاستعاذة وكان الانسان اذا سافر فرأى من يخافه قال : حجراً محجوراً أى حرام عليك التعرض لى ، وعلى هذا فسر قوله تعالى : (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) : أى يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه فى الدنيا (١٥) .

٦ ـ تهذيب اللغة العربية من الألفاظ الغريبة فأقامها فى هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة ، هذا الأسلوب السهل الممتنع الذى يلذ الآذان حين تستمع له ، والأفواه حين تنطق به ، والقلوب حين تصغى اليه ، هذا الأسلوب الذى استطاع أن يفتح القلوب قبل فتح البلاد ، فاذا الناس يهجرون لغاتهم المختلفة الى لغته الصافية العذبة. يبدو ذلك جليا حين نقرأ فى قوارع القرآن حيث يتحدث عن البعث والحساب والعذاب ، وفى ملاطفاته حين يتحدث عن الرحمة والمغفرة ، أو حين يتحدث الى رسوله ﷺ ، فاننا سنجد الأسلوب رائعا مع سهولة لفظ وسلامة من التكلف .

واذا نظرنا الى قوله تعالى يتوعد المشركين وماينتظرهم يوم يبعثون : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم

---

(١٥) رواه السيوطى فى المزهر عن ابن فارس انظر المزهر جـ ١ : ص ١٧٤ .

قيام ينظرون · وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون· ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون · وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين · قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ·

وقارنا بين ذلك وبين ملاطفته عز وجل لرسوله فى سورة الضحى: (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى · وللآخرة خير لك من الأولى · ولسوف يعطيك ربك فترضى · ألم يجدك يتيما فآوى · ووجدك ضالا فهدى · ووجدك عائلا فأغنى · فأما اليتيم فلا تقهر · وأما السائل فلا تنهر · وأما بنعمة ربك فحدث) ·

فلن تجد هنا أو هناك كلمة متوعرة ولا لفظا ضعيفا ، انما تجد روعة الأسلوب دائما ، وعذوبته مع دقة العبارات ، ومع الألفاظ المستحسنة فى الآذان وعلى الأفواه ، انها الألفاظ التى تغذى العقول برحيقها الصافى وتشفى القلوب والنفوس (١٦) ·

٧ - اجتماع العرب على لغته من التبديل بسبب

---

(١٦) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى د· شوقى ضيف ص ٣٢ ، ٣٤ ط : المعارف بتصرف ·

اختلاطهم بغيرهم من الأمم . وفى هذا يقول الرافعى : انــه لولا القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغتــه . ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذى وقع ولم يكن منه بد حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطباع ثم يكون مصير هذه اللغات الى العفاء (الزوال) وبذلك تمسى العربية مبهمة فلا تبين وهى أفصح اللغات (١٧) .

أثر القـرآن الكريم فى الأدب

لقد صقل القرآن الكريم فحول الأدب وأعلام البيــان ، حيث اهتــدوا بســناه ، فاكتسبوا من أساليبــه فى التعبير وصياغة الحجج ما جعلهم يحذون حذوه ويقتبسون من نوره متى شاءوا ، لأنه كان بمثــابة معجمهم اللغوى والأدبى مع اختلاف الأقطار وتباعد الأعصار .

لذلك كان يحرص الخطبــاء والــكتاب والشعراء على ترصيع ألفاظهم بجواهره ودرره ليكتب لها الخلود .

يقــول « الجاحظ » : وكانوا يستحســنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القــرآن ، فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة .

وقال « الهيثم بن عدى » : قال « عمران بن حطان » : ان أول خطبــة خطبتها عند « زياد » - أو عند ابن زياد - فأعجب بها الناس وشهدها عمى وأبى . ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجــلا يقول لبعضهم : هــذا الفتى أخطب

---

(١٧) راجع إعجاز القـرآن للرافعى ص ٨٣ - ٨٤ .

العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن [١٨] .

ان دل هـذا على شىء فانما يدل على أن القوم فتنـوا بأسلوبه واحكام نظمه . من ذلك :

١ ـ قول « أبى بكر » ـ رضى الله عنه ـ فى خطبته فى الأنصار : أسلمنا قبلكم وقدمنا فى القرآن عليكم فقال تعالى: (والسـابقون الأولون من المهـاجرين والأنصـار والذين اتبعوهم باحسان) .

٢ ـ قول « عمر » ـ رضى الله عنه ـ فى خطبة الاستسقاء : « اللهم أغثهم بغيـاثك قبل أن يقطنوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

٣ ـ قول « عثمان » ـ رضى الله عنه ـ حين أرتج عليه (صعب عليه الكلام) فى أول خطبة له بعد توليته الخلافة : ان أول كل شىء صعب وان أعش فستأتيكم الخطب عـلى وجهها و « سيجعل الله بعد عسراً يسراً » .

٤ ـ وقول « على » ـ كرم الله وجهه ـ من خطبـة له : وأعدوا لليـوم الذى تسـير فيه الجبـال وتشقق السـماء بالغمام . مقتبسا من قوله تعالى : (ويوم نسير الجبـال) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام) .

هذه نماذج للاقتباس من القرآن فى النثر ، وفى الشعر نماذج أيضا . حسبنا منهـا :

---

(١٨) راجع جـ ١ : ص ١١٨ البيـان والتبيين للجاحظ .

١ ـ قول « حسان بن ثابت » ـ رضى الله عنه ـ فى رثاء النبى ﷺ :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

مقتبسا من قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وقول « حسان » أيضا فى غزوة الأحزاب :

حتى اذا وردوا المدينة وارتجوا
قتل النبى ومغنم الأسلاب

وغدوا علينا قادرين بأيدهم
ردوا بغيظهم على الأعقاب

بهبوب معصفة تفرق جمعهم
وجنود ربك سيد الأرباب

وكفى الاله المؤمنين قتالهم
وأثابهم فى الأجر خير ثواب

مقتبسا من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) وقوله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال) .

٢ ـ وقول « عمير بن الحمام » ـ رضى الله عنه ـ حين سارع الى قتال المشركين فى بدر ليدخل الجنة :

ركضا الى الله بغير زاد .. الا التقى وعمل المعاد

مقتبسا من قوله ـ تعالى ـ : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) .

هذا وقد اقتبس من هذه الآية نفسها « الحطيئة » على ما فيه من خشونة الأعراب وجفاء البدو ، حيث يقول :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأتقى مزيد

٣ ـ وقول معن بن أوس :

فما زلت فى لينى له وتعطفى
عليه كما تحنو على الولد الأم
وخفضى له منى الجناح تألفا
لتدنيه منى القرابة والرحم

متأثراً بأدب القرآن فى قوله :

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) .

ولقد حمل القرآن العرب ، بل فرض عليهم تتبع ألفاظ اللغة الفصيحة من العرب الموثوق بعروبتهم فكان من ذلك أن تجرد ألوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وأمثالها ووصاياها وخطبها ، حتى أسجاع كهانها ، فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل وتألفت بذلك مادة الأدب القديم التىصارت بعد أساسا للآداب العربية فى موضوعاتها وأغراضها ومعانيها .

هذا وقد رفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان الشعر

فى المقـام الأول من بين فنون الأدب ، حين جعـل الخطبة شعيرة من شعائره فى الجمع والعيدين ، وتقليـداً فى شتى المناسبات من وعظ وحث على الجهـاد وارسال الكتب الى الملوك من أجل الدعوة الى الاسلام [19] .

٤ ـ ومما لا يخفى أن الشـعراء فى الاسـلام هجروا الفحش والفخـر الكاذب ، واستوحوا من القـرآن كل معنى كريم ، فمدحوا التقى وهجوا الفاسق ، وفخروا بالاسلام ، وحثوا على الجهاد ودافعوا عن الاسلام وعن نبى الاسلام ، وكان الشعر سلاحا للدعوة الاسلامية على لسان « حسان » وغيـره .

نماذج من أساليب القرآن الكريم

ان المتـأمل فى كتاب الله تعالى يجد فيه سمو البـلاغة ونضارة الأسلوب ، ويرجع ذلك الى أسراره الكثيرة ومزاياه العظيمة . وحسبنا نماذج منه نعرف من خلالها أسرار هذه العظمة الأدبيـة :

١ ـ كشف القرآن عن أصل المساواة فى الجنس البشرى كشفا لم يسبق اليه فى قوله تعالى :

(يا أيها النـاس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

---

(١٩) راجع تـاريخ الأدب العـربى لأحمد الإسكندرى وآخرين ج ٤ : ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، ونظرات أدبيـة فى عصر صدر الإسلام د. محمود فـرج العقـدة ص ٣٢ ـ ٣٤ ، والأدب فى الجاهلية وصدر الإسلام د. عبد الحميد المسلوت ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

فانظر كيف أبـان عن المساواة الطبيعيـة التى لا يملك بحال من الأحوال أن يفرق فيهـا الجنس الانسانى كله وهى الخلق من الذكر والأنثى . وكيف وصف الغاية الاجتماعية للنـاس جميعا بأنها (التعارف) لم يزد على هذه اللفظة . ثم تأمل كيف أقام هذا الأساس الأدبى العظيم فيجعل أكرم النـاس المتساوين جميعا فى الحالات الفردية والاجتماعية هو (أتقاهم) أى أعظمهم خلقا ، لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ، ولا أعلمهم علما ، ولا أقواهم قوة ، ولا شىء من ذلك مما يتفاضل به الناس » (٢٠) .

وان كان العـلم يرفع النـاس ، لـكنه العـلم الممزوج بالأخلاق على حد قول حافظ ابراهيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده .. ما لم يتوج ربه بخلاق

٢ - الايجاز والاطنـاب :

لـما كان للايجاز عند العرب مكانة مرموقة - لقلة اللفظ وكثرة المعنى ، وهو محل اعجابهم وميدان سبقهم - جاءهم القرآن بكثير منه ، مثـل قوله تعالى :

(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) فقد اشتملت كلمة الاستقامة على تمام الامتثال لكل ما أمر الله به ، والاجتناب لكل ما نهى الله عنه ، ومنه قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر)، (ولـكم فى القصاص حيـاة) ، (خذ العفو وأمر بالعرف

---

(٢٠) راجع إعجاز القـرآن للرافعى ص ١٠٩ - ١١٠ .

وأعرض عن الجاهلين) .

وقال « جعفر الصادق » - رضى الله عنه - فى هذه الآية : أمر الله نبيه - ﷺ - بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه .

وفى المناسبات التى تقتضى الاطناب لميل النفس اليها جاءهم القرآن بألوان كثيرة منه مثل قوله تعالى فيما حكاه عن قصة يوسف عليه السلام : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين . اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) حيث احتوت على ألوان من العظات وأنواع الحب والبغض وبيان ما طبعت عليه النفس من غيرة .

وفى سورة الرحمن نجد تكرار قوله تعالى : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عقب أنواع النعم للشكر عليها . وفى سورة المرسلات نجد تكرار قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكذبين) ، ليؤكد اقامة الحجة على المخالفين لأمره ويسد باب الاعتذار عليهم .

٣ - الحكم والأمثال وجوامع الكلم :

فى القرآن الكريم كثير من الحكم والأمثال وجوامع الكلم وحسبنا منها :

قوله تعالى : (كل امرىء بما كسب رهين) ، (ولا يحيق

المكر السيىء الا بأهله) ، (لكل نبأ مستقر) ، (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) ، (ما على المحسنين من سبيل) ، (من يعمل سوءا يجز به) ، (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون • ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) ، (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائه حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) •

٤ ـ فى الكناية :

من الكنايات الرائعة قول الله تعالى كناية عن النبى ﷺ (ورفع بعضهم درجات) ، وهذا أبلغ من التصريح باسمه مع شدة تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى فلم يقل سبحانه ورفع محمدا درجات ، لأن الكناية عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبلغ ، ولذا عبر الله سبحانه بها تكريما منه لرسوله •

ومن الكنايات البليغة أيضا قوله ـ تعالى ـ كناية عن الجماع : (أو لامستم النساء) ، (ولا تقربوهن حتى يطهرن) [٢١] •

(وبعد) :

فقد احتوى القرآن الكريم على الكثير والكثير من الأساليب الرائعة والعبارات الفائقة وحقا ما هو بقول بشر ! •

---

(٢١) نظرات ادبية فى عصر صدر الإسلام د• محمود فرج العقدة ص ٣٢ ـ ٣٤ بتصرف •

الفصل الثالث

الحديث النبوى

الحديث : هو قول رسول الله ـ ﷺ ـ أو تقريره أو وصفه ، وهو فى المنزلة الثانية من كتاب الله تعالى ، وأقوم طريق الى فهم القرآن لتفصيل مجمله وتخصيص عمومه وتوضيح ابهامه . فالقرآن الكريم مثلا لم يذكر تفصيلا للصلاة أو الزكاة ـ وهما ركنان عظيمان من أركان الاسلام، بل ذكرهما على طريق الاجمال حين قال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ففصل الحديث أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وشروطها .... الخ . كما فصل القواعد التى يجب أن تراعى فى جمع الزكاة ووجوه انفاقها . وفصل الحديث أيضا مناسك الحج ، كما بين المبادىء الاجتماعية والأخلاقية التى جاء بها الرسول ﷺ .

لذلك حرص صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ على اتباع الرسول ، لأنه مبين فى أحاديثه الشريفة ولما جاء به القرآن، لكن بعضهم وجل من كتابة الحديث حتى لا يقرأ الناس غير كتاب الله تعالى . ولقد ورد أن « عمر بن الخطاب » ـ رضى الله عنه ـ استشار أصحابه فى كتابة الحديث وطفق يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : انى كنت أردت أن أكتب السنن وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم (٢٢) كتبوا كتبا فأكبوا عليها (أقبلوا عليها) وتركوا كتاب الله

---

(٢٢) أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

تعالى . وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا (٢٣) (لا أكتب شيئا غيره) فترك كتابة الحديث وتبعه كثير من الصحابة يروون الحديث ويكرهون أن يكتبه من يسمعهم كأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأبى موسى الأشعرى وغيرهم . وظل الأمر هكذا حتى العصر الأموى فدون الحديث النبوى على يد « ابن شهاب الزهرى » فى خلافة « عمر بن عبد العزيز » - رضى الله عنه - حين خيف على ضياع أحاديث رسول الله بموت الحفاظ ، كما ورد فى حاشية الزرقانى على موطأ الامام مالك (٢٤) .

هذا وقد كان بعض الأحاديث قد دون فى عهده صلى الله عليه وسلم وقد أقرهم على ذلك ، وخاصة فيما يتعلق بالزكاة حين كان يكتب الى بعض الأقوام يبين لهم فرائض دينهم (٢٥) .

وعن « رافع بن خديج » قال : « قلنا يا رسول الله انا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » (٢٦) وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » أنه استأذن رسول الله

(٢٣) راجع تقييد العلم للبغدادى من ص ٤٩ وما بعدها ط : يوسف العشن .

(٢٤) انظر الحاشية ج ١ : ص ١٠ .

(٢٥) انظر فى ذلك مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة لحميد الله ط : لجنة - التأليف والترجمة والنشر .

(٢٦) تقييد العلم ص ٧٢ .

أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له ، وكان يسمى صحيفته التى كتبها عن الرسول الصادقة [٢٧] .

البلاغة النبوية

كان صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا ، وأروعهم بيانا ، وأصدقهم لهجة ، وأعذبهم منطقا ، وأقواهم حجة . واذا كان العرب المرسل هو اليهم أئمة الفصاحة وفرسان البيان - اذ الكلام صناعتهم التى بها يفاخرون - فلابد للرسول الذى أرسل اليهم - مبلغا عن ربهم ، هادما لباطل عقائدهم ، مفندا لمزاعمهم أن يفوقهم منطقا وبيانا .

هذا والسفارة بين الخالق والمخلوق تعتمد على عذوبة الكلام والقول الفاتن (الجميل) ليملك النفوس ويقودها الى الصراط السوى ، كما قال تعالى لموسى وهارون يوصيهما بلين الكلام مع فرعون لعله يهتدى :

(اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) .

ونبى الله « داود » - عليه السلام - آتاه الله الحكمة ومنحه فصل الخطاب ، فقال تعالى ذاكرا نعمته على داود :

(وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

« وموسى » - عليه السلام - أيضا طلب من ربه حينما أرسله الى فرعون أن يشد أزره بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسانا ، فقال كما جاء فى القرآن الكريم :

---

(٢٧) المصدر السابق ص ٨٤ .

(وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءاً يصدقنى انى أخاف أن يكذبون) ٠

وردءاً : معينا وناصرا ٠ وكانت أكبر أمانيه من ربه وهو كليمه أن يطلق لسانه ويحل عقدته حيث قال : (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) ٠

لكن الله سبحانه وتعالى اكراما منه لخاتم الأنبياء أعطاه بدون سؤال منه حيث قال تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) ٠ على حين تمنى ذلك أخوه موسى - عليهما السلام - حين دعا ربه (رب اشرح لى صدرى) قبل حل عقدة اللسان ، لأن الصدر اذا انشرح انحل اللسان وتهيأت النفس للبلاغ عن الله ٠ فصدر رسول الله - ﷺ - قد شرح فانطلق لسانه مبلغا أبلغ الأمم ، حيث قال هو عن نفسه : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى سعد بن بكر » بيد أنى : لأننى ، تعليلا لذلك الأمر الذى جعله فصيحا ٠

ويعقب الرافعى على هذا بقوله : وقد نشأ النبى - ﷺ - وتقلب فى أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا فكان مولده فى بنى هاشم وأخواله فى بنى زهرة ورضاعته فى سعد بن بكر ومنشؤه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد ومهاجرته الى بنى عمرو (الأوس والخزرج) من الأنصار، لم يخرج عن هؤلاء فى النشأة واللغة ، ولقد كان فى قريش وبنى سعد (الذين استرضع فيهم) وحدهم ما يقوم بالعرب جملة [٢٨] يعنى مساواة قريش وبنى سعد بكل العرب فصاحة وبلاغة ٠

---

(٢٨) اعجاز القرآن للرافعى ص ٣١٨ ٠

وصف كلامه صلى الله عليه وسلم :

هو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ... استعمل المبسوط (أى الاطناب) فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر (الايجاز فى موضعه) وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى (ابتعد عن الألفاظ الرديئة كيف لا وهو ذو الخلق العظيم ؟) .

لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب .. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ـ صلى الله عليه وسلم [٢٩]

يقول الرافعى : وهذه الفصاحة قد كانت له ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الله ـ تعالى ـ اذ ابتعثه للعرب وهم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة فى البيان والفصاحة، فكان صلى الله عليه وسلم يعلم كل ذلك على حقه كأنما تكاشفه اللغة بأسرارها فيخاطب كل قوم بلسانهم وعلى مذهبهم ثم لا يكون الا أفصحهم خطابا وأبينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب ولو عُرف لنقلوه وتحدثوا به . ومثل ذلك لا يكون لرجل من العرب الا عن تعليم أو تلقين

---

(٢٩) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ : ص ١٧ .

أو رواية عن أحياء العرب حيا بعد حى (يطوف فى أحياء العرب) حتى يقف على لغاتهم وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتهيأ له شىء من ذلك [٣٠] .

يعنى الرافعى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أميا ـ لم يعلمه بشر وانما علمه ربه الذى اصطفاه لرسالته الخاتمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) .

يؤكد هذا قوله عليه الصلاة والسلام لأبى بكر حين قال له رضى الله عنه : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ولقد أعجب « على » كرم الله وجهه ـ بسحر بيانه فقال له : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه فمن أدبك ؟ فقال ـ صلوات الله عليه وسلم ـ : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

قبس من الأحاديث النبوية

لقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، يلمح هذا كل من أمعن النظر فى أحاديثه . وحسبنا نماذج منها نستضىء بنورها كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) . وقوله : (ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون

(٣٠) إعجاز القرآن للرافعى ص ٣١٧ وما بعدها .

ويؤلفون)· وقوله : (الظلم ظلمات يوم القيامة) · وقوله : (ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى)· وقوله : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) · وقوله : (مثل المؤمن كالنحلة لا تأكل الا طيبا ولا تطعم الا طيبا)· وقوله : (الناس سواسية كأسنان المشط) · وقوله : (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة) · وقوله : (ان من كنوز البر كتمان المصائب) · وقوله : (ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) · وقوله : (احفظ الله يحفظك) · وقوله : (ان من البيان لسحراً) · وقوله : (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) · وقوله : (الخلق عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله)· وقوله : (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) · وقوله : (لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب)· وقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه : « اللهم انى أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبى ، وتجمع بها أمرى ، وتلم بها شعثى ، وتصلح بها غائبى ، وترفع بها شاهدى ، وتزكى بها عملى ، وتلهمنى بها رشدى ، وترد بها ألفتى ، وتعصمنى بها من كل سوء » [٣١] ·

---

(٣١) الشفاء للقاضى عياض جـ ١ : ص ٧٧ وما بعدها ط : دار الكتب العلمية بيروت ·

الفصـل الرابـع

أثر السنة النبـوية فى اللغة والأدب

أولا : للسنة الشريفة تأثيرها فى اللغة والأدب فهى فى المنزلة الثـانية بعد كتاب الله تعـالى ، ولا سـيما فى حكمه وجوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهى القدوة الحسنة للأديب ، والحلية التى يزدان بها كلام الكاتب والخطيب .

هذا وكان له ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضل السبق فى كلمات لم تسمع من قبـله ، من ذلك وصـفه للفرس السريع بالبحر كما جاء فى فقه اللغة للثعالبى : أن الفرس اذا كان لا ينقطع جريه فهو بحر ، شبه بالبحر الذى لا ينقطع ماؤه ، وأول من تـكلم بذلك رسـول الله ـ ﷺ ـ فى وصـف فرس ركبـه .

وقال ابن دريـد فى المجتبى قال عـلى رضى الله عنه : ما سمعت كلمة غريبـة من العرب الا وقد سمعتها من النبى ـ ﷺ ـ وسمعته يقول (مات حتف أنفه) أى من غير ضرب ولا قتـل ، كمن يموت على فراشه .

يقول على ـ كرم الله وجهه ـ : وما سمعتها من عربى قبـله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . قال « ابن دريد » ومعنى حتف أنفه : أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، لأن الميت على فراشـه من غير قتـل يتنفس حتى ينقضى رمقـه فخص الأنف بذلك لأنه من جهتـه ينقضى الرمق (الحيـاة) وفيها يقول الرافعى : ان موت الرجل على فراشه من غيـر حرب

ولا قتال ولا أمر يؤرخ به فى الألسنة (أى ذكره بالتعظيم على ألسنة الناس) ٠

كانوا يأنفون له (يكرهونه) ٠ والحتف : الهلاك ٠

فكأن صاحب هذه الميتة انما ماتت أنفته وكبرياؤه ، فلم يرفع الموت أنفه فى القوم ، بل أذله وأرغمه فكان به هلاكه ، لأن حياته كانت فى عزته ، وعزته كانت فى أنفه ، وأنفه هو الذى كبه على الموت [٣٢] ٠

ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - : (الآن حمى الوطيس) ٠ والوطيس : حجارة توقد العرب النار تحتها يشوون عليها اللحم ٠ وفى الأصل التنور ومجتمع النيران واستعير هنا لشدة الحرب ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ٠

قاله - صلى الله عليه وسلم - لأبى عزة الشاعر ، وكان يحرض عليه ويؤلب الناس ضده ، فأسره يوم بدر ثم أطلق سراحه فعاد الى سيرته فأسر يوم أحد وسأل النبى أن يطلق سراحه مرة أخرى ٠ فقال له صلى الله عليه وسلم : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : اياكم وخضراء الدمن قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال : (المرأة الحسناء فى المنبت السوء) شبه صلى الله عليه وسلم هذه المرأة بالشجرة

---

(٣٢) إعجاز القرآن للرافعى ص ٣١٧ وما بعدها ٠

الناضرة فى دمنة البعر (ما اجتمع من فضلات وقاذورات) . ومنه يفهم وجود الجميل فى المكان القبيح . فيحذرنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اختيـــار الجميلة التى تعيش فى أماكن الفجور أو التى درجت فى أسرة ليست بذات خلق ودين .

وقوله صلى الله عليه وسلم لأبى تميمة الجهيمى محذراً: (اياك والمخيلة) فقـــال يا رســـول الله (نحن قوم عرب فما المخيـــلة ؟) قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المخيلة : ســـبل الازار) أى الكبر وفى استفهام أبى تميمة عنها وقوله : نحن قوم عرب دلالة على أن النبى ـ ﷺ ـ اخترع هذا اللفظ ولم يسبق اليه .

وقـــوله صلى الله عليه وســـلم (هـــدنة على دخن) . والدخن : دخان النـــار ، يريد أن الصلح لم يذهب ضـــغائن القلوب فبقى منها كما يبقى شىء من النار تحت الرماد يوشك أن يشتعل .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من اطلع من صير باب فقد دمـــر) أى من اطلع من شق باب (ثقب) غيره فقد دخل فيه ، لأنـــه رأى ما بداخله من حرمات وفيـــه تحذير من الاطلاع على عورات الناس . ويقول أبو عبيـــد : لم يسمع هذا الحرف الا فى هذا الحديث ويعنى (دمر) بمعنى (دخل) والدخول هنا غير محمود ، ففيه الدمار والعياذ بالله تعالى . ووصفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للزانية بالزمارة فى حديث أبى هـــريرة (أن النبى ﷺ نهى عن كســـب الزمارة) . قال

ثعلب : الزمارة : الزانيــة ، لأنها تشــيع أمرها كأنها تنفخ في بوق .

فهذا مما انفرد به - صلى الله عليه وسلم - ولم يسمع من أحد قبــله . وقوله - صلى الله عليه وسلم - فى وصف الانسان الحليم الذى يملك زمام نفسه عند الغضب بأنه هو الشديد ، وكان القوم يحسبونه ضعيفا ويعدون الشديد الذى يبطش بالنــاس فأوضح هذا قائلا (ليس الشديد بالصرعة الذى يصرع النــاس) انما الشــديد من يملك نفسه عنــد الغضب) .

ومن هذا القبيل أيضا استعماله - صلى الله عليه وسلم - لفظ (المفلس) فى غير معناه المعروف لدى العرب ، وذلك فى قوله بأسلوب الاستفهام ليلفت الأنظــار ويشوق الأســماع (أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع . قال - صلى الله عليه وسلم - : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه فيأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وقذف هذا وضرب هذا وسفك دم هذا ، فيعطى هذا من حســناته وهذا من حسناته . فان فنيت حســناته قبــل أن يفنى ما عليه من الخطــايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه) ثم طرح به فى النار .

هذا ومن جميــل استعاراته - صلى الله عليه وسلم - قوله لأنجشة حادى ابله وفيها النساء : (رفقا بالقوارير) لأن الحادى حين يغنى تسرع الابل وتتمايل الهوادج فيخشى عليهن من الوقــوع على الأرض فينكسرن ، لــذا اســتعار

القوارير (جمع قارورة) وهى من الزجاج للنســاء لرقتهن وضعفهن ·

ومن جميل تمثيــله ورائع كلمه قوله - صلى الله عليه وسلم - :

(ان قوما ركبوا سفينة فى البحر فاقتسموا فصار لكل رجل موضع فنقر رجل موضعه بفـأس فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع به ما شئت فان أخذوا على يديه نجــا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا) ·

ثانيا : ومن أثر الحديث النبوى أيضا : كتبه التى كان - صلى الله عليه وسلم - يمليها ويبعث بها الى قبائل العرب يخاطبهم فيها بلهجاتهم التى تختلف عن اللهجــة القرشية ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - لوفد من قبيلة حمير : (ليس من امبرامصيام فى امسفر) أى ليس من البر الصيام فى السفر · بابدال اللام ميما ، كما تنطق بذلك هذه القبيلة التى يخاطب وفدها اليه ·

ومنها أيضا ما رواه « الترمذى » عن « عطية بن عروة السعدى » - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : (ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسئول ومنطى) بابدال العين نونا فى المنطية (المعطية) وفى المنطاة (المعطاة) ومنطى (معطى)· قال « عطيــة بن عروة السعدى » فكلمنــا - صلى الله عليه وسلم - بلغتنــا ·

ثالثا : ومن أثر الحديث فى اللغة والأدب ما ترتب على

روايتــه وتدوينه من تهذيب اللغــة والتقريب بين لهجاتهــا ونشرها خارج الجزيرة العربية ، اذ له الأثر الثانى فى ذلك كله بعد القرآن الكريم ٠

رابعــا : ومن أثره فى اللغة : اماتته ألفــاظا جاهلية مثــل : عم صباحا وعم مساء وجعل مكانها : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته٠ وتغيير اسم يثرب الى المدينة أو طيبة ، لأنها من التثريب وهو الهلاك ٠ ومما أبطــله قولهم للمعرس (المتزوج) بالرفاء والبنين أى بالسعادة والبنين ، فجعــل مكانها : بارك الله لك فى أهلك وجمع بينكما فى خير ٠

خامسا : وكما دعت الحاجة الى فهم القــرآن الكريم على رواية لغة العرب وآدابها كذلك كان الشأن فى الحديث ، وكما قامت للفقهــاء فيــه دراسات مختلفــة لأخــذ الأحكام الشرعية قامت فيه أيضا دراسات لغوية وأدبية لمعرفة مجازه وغريبه ومن أهمها كتــاب غريب الحديث للقاسم بن سلام ، فكان لذلك أثره فى جمع اللغة وتحرير موضوعات الألفــاظ وضبط وجوه الكلام ، ولعلماء البلاغة دراسات فيه أيضا ٠

ومن تأثيره أيضا نشأة الكتابة التاريخية لا فى السيرة النبوية فحسب ، بل أيضا فى تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم فيما نقل عنهم ، ومما لا ريب فيه أن الفضل يرجع الى الحديث فى عناية المسلمين بتاريخ رجالهم على نحو ما عرف فى: طبقات ابن‌سعد ، وأسد الغابة ، والاصابة ، والاستيعاب وميزان الاعتــدال للذهبى ٠ فالحديث هو الذى فتــح باب

الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات فى كل فن ٠

سادسا : ومن أثره أيضا اعجاب الصحابة ببيانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكثر استشهادهم به واقتباسهم منه ولا سيما فى النثر لأن حظ الشعر فى الاقتباس من أدبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يظهر ظهوراً أكمل الا بعد الاتساع فى رواية الحديث وتدوينه ، ومن أكثر الصحابة اقتباسا من كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو : « على بن أبى طالب » ـ كرم الله وجهه ـ لمنزلته منه فهو ربيبه وصهره ـ صلى الله عليه وسلم (٣٣) ٠

نماذج من الاقتباس من الحديث النبوى

لقد أحب الصحابة رسول الله ﷺ حبا ملك عليهم قلوبهم وجوارحهم فتأسوا به تأسى المحب الواله فى أقواله وأفعاله ، حتى غدا نبراسا لهم يستضيئون بنوره المستمد من وحى السماء ، فكانوا حوله بمثابة النجوم حول البدر ولقد صدق فيهم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ٠

ومن حبهم لكلامه صلى الله عليه وسلم كانوا حريصين

---

(٣٣) راجع البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ : ص ١٥ وما بعدها ط : دار فكر ، المزهر للسيوطى جـ ١ : ص ١٧٢ ـ ١٧٧ ط : صبيح ، تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) د٠ شوقى ضيف ص ٣٤ ـ ٤٠ ط : المعارف ، نظرات أدبية فى عصر صدر الإسلام د٠ محمود فرج العقدة ٠ ص ٤١ وما بعدها ط : مصر بتصرف ٠

على الاقتباس منه · ومن هذه النماذج :

أولا : قـوله - صلى الله عليه وسلم - : (الكيس من دان نفسـه وعمل لمـا بعد الموت ، والأحمق من أتبـع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) · اقتبس منه أبو بكر - رضى الله عنه - فى خطبته يوم بويع بالخلافة : (واعلموا أن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور) ·

ثانيا : قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) · اقتبس منه « على » - كرم الله وجهه - فى وصيته لابنه الحسن رضى الله عنهما : فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ·

ثالثـا : وقوله صلى الله عليه وسلم :

(مالى وللدنيا ؟ وما للدنيا وما لى ؟ والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها) · اقتبس منـه « على » - كرم الله وجهه - فى شـأن الدنيـا : فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سـبيلا فكأنهم قـد قطعوه · وقوله فى شأن الأمل فى الدنيا أيضا : فانما أنتم ركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالسير ·

رابعـا : وقوله صلى الله عليه وسلم :

(ألا ان الدنيا خضرة حلوة ، وان الله مستخلفكم فيهـا فناظر كيف تعملون) · اقتبس منه « على » - كرم الله وجهه - فى صدر احدى خطبـه محذراً من الدنيا : أما بعـد : فانى أحذركم الدنيـا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور ·· الخ [٣٤] ·

---

(٣٤) راجع نهـج البـلاغة ص ١٣٤ وما بعـدها ط : الشعب ·

الخاتمـة

وبعـد :

فهذا بحث فى أثر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى اللغـة العربية وآدابهـا . وقفت فيه على الأثـر الطيب والواضح لكل من القـرآن والسنة وبذلت فيه جهداً جهيـداً مخلصا لله ولكتابه ولرسوله ، وقد تبين لى أن اللغة قبلهما كانت خشنة غير مهـذبة ، لكنها بهما سهلت ورقت وهذبت وابتعدت عن الألفاظ المستهجنة ، وأضفيا على بعض الألفاظ معانى لم تكن لها من قبل كالصلاة والصوم والزكاة . وأماتا ألفـاظا منكرة : كالبحيرة والسائبة والوصـيلة والحامى ، ويثرب ، وتجلت فى البحث فصاحة رسـول الله ـ ﷺ ـ فى نطقه بألفـاظ لم تعرفها العربية من قبل مثـل : (الآن حمى الوطيس) أى اشتدت نيران الحرب ، (مات حتف أنفـه) أى على فراشه بلا ضرب ولا قتال ، (من دخل من صير باب فقـد دمر) أى من ثقب باب فقـد أساء ودمر لاطلاعه على عورات من بداخـله ، وكاستعماله الزمارة بمعنى الزانيـة كأنها تنفخ فى بوق ليشيع أمرها فى الناس . وغير ذلك مما يدل على أنه أفصح من نطق بلغـة الضاد ـ صلى الله عليه وسـلم .

وبذلك ارتقت اللغة العربية وسما أدبها بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة مما كان لهما الأثر الجلى فى قيـام العلوم العربية كالنحو والبـلاغة والأدب وعلم اللغـة والقراءات ،

والعلوم الشرعية كالفقــه والأصول والتوحيــد والتفســير والحديث ، خدمة لهما .

فهذه هى اللغة العربية التى تتغيا كتاب الله وسنة رسوله منهجا وطريقا . فان اتبعنــا هذا النهج نكون محبين للغــة القــرآن .

وان سرنا الى غير ذلك نكون بعيدين عن لغة القــرآن ، وأعنى اللغة العربية الفصحى ، التى قال فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم سنة ١٩٠٣م قصيدته الباكية حرصا على اللغة الفصحى يوم أريد لها وبها السوء ممن يطربون على نغمات أعداء الاسلام ، فحذر الغيورين من خطر الدعوة الى العامية بدلا من الفصحى بحجــة ملاءمة العصر ، قائلا على لســان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى

رمونى بعقم فى الشباب ، وليتنى
عقمت فــلم أجزع لقــول عــداتى

ولــدت ولمــا لم أجــد لعرائسى
رجــالا وأكفــاء وأدت بنــاتى

أى رمانى أعدائى ومن نهج نهجهم بالعقم ، لكننى ولود وعندى كلمات كالعرائس الحسان أبحث لها عن رجال أكفاء يفهمونها فلما لم أجد لها الكفء وأدت بناتى أى ان كنوزى مدفونة تبحث عن الذى يخرجها (٣٥) .

---

(٣٥) ديوان حافظ ابراهيم ط : دار العودة بيــروت .

ثم يذكر ثراء اللغة العربية قائلا على لسانها أيضا :

وسعت كتــاب الله لفظــا وغاية

وما ضقت عن آى بــه وعظــات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسـيق أســماء لمختـرعات

أى أنهـا وسعت كتــاب الله لفظــا ومعنى وما عجزت ولا أصابها الوهن مع أن القـرآن بحـر خضم ملىء بالآيات والعظات ٠

قال فيه منزله سبحانه (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ٠

ولذلك فان اعجــازه فى تلاوته بالعربية ولو ترجم الى غيرها لذهب جمال اعجازه ٠ ولا تستطيع أى لغة أخرى أن تأتى بآياته على الوجه المطلوب ، وحتى ترجمة معــانيه عند الضرورة لا تفى وفاءها بالعربية ٠ فعلى المسلمين جميعــا عربا أو غير عرب أن يفقهوا اللغــة العربية ليفهموا كتاب ربهم وسنة نبيهم ويعبدوا ربهم على هدى وبصيرة ٠

ونمضى مع حافظ ابراهيم فنجده يصف اللغــة العربية على لسانها قائلا :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن

فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

فوصفها بأنها البحر فى أعماقه اللؤلؤ المكنون ، وليتهم

يغوصون لاستخراج هذه الجواهر والدرر فليتنا ويا ليتنا ٠

فعليكم بلغة القرآن والسنة تفلحوا وتسعدوا ٠

هذا وبالله التوفيــق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

المصـادر والمراجـع

١ ـ الأدب فى الجاهلية وصدر الاسلام · د· عبد الحميد المسلوت ط : المحمدية بمصر ·

٢ ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبـوية · مصطفى صادق الرافعى ط : التجارية بمصر ·

٣ ـ البيان والتبيين للجاحظ ط : المعارف بمصر ·

٤ ـ تاريخ الأدب العربى أحمد الاسكندرى وآخرين ط : المعـارف ·

٥ ـ تاريخ الأدب العربى · أحمد حسـن الزيات · ط : نهضة مصر ·

٦ ـ تاريخ الأدب العربى (العصر الاسلامى) د· شوقى ضيف · ط : المعـارف ·

٧ ـ تاريخ الأستاذ الامام محمد عبده · رشيد رضا ط : المنـار بمصر ·

٨ ـ تقييد العلم للبغدادى ط : يوسف العش ـ بيروت ·

٩ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى · ط : دار الفكر بيـروت ·

١٠ ـ الجامع الصغير للسيوطى ط : دار الفكر بيروت ·

١١ ـ الجمهرة لابن دريد ط : المثنى بغـداد ·

١٢ ـ ديوان حافظ ابراهيم ط : دار العودة بيروت ·

١٣ ـ الشـفا بتعريف حقـوق المصطفى للقـاضى عيـاض

ط : دار الكتب العلمية بيروت ٠

١٤ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ط : الريان بمصر ٠

١٥ ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق ط : دار التراث بمصر ٠

١٦ ـ فى الأدب الحديث عمر الدسوقى ط : دار الفكر بمصر ٠

١٧ ـ لسان العرب ابن منظور ط : المعارف ٠

١٨ ـ مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة لحميد الله ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ٠

١٩ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ط : صبيح بمصر ٠

٢٠ ـ المنار لرشيد رضا ط : المنار بمصر ٠

٢١ ـ نظرات أدبية فى عصر صدر الاسلام د٠ محمود فرج العقدة ط : مصر ٠

٢٢ ـ نهج البلاغة للامام على كرم الله وجهه ط : الشعب بمصر ٠

٢٣ ـ نور الاسلام مُجلة دينية عن الأزهر ١٣٥١ هـ ٠

٢٤ ـ الوسيط فى الأدب العربى أحمد الاسكندرى وآخرين ط : المعارف ٠